



يزورك القائد

عبد الملك القاسم

دار القاسم



ⓒ دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم ، عبدالملك بن محمد
عندما يزورك القائد. / عبدالملك بن محمد القاسم .- الرياض ،
١٤٢٦هـ
..ص ؛ ..سم
ردمك: ٢-٤٩-٧٣٠-٩٩٦٠
١- السيرة النبوية ٢- كتب الاطفال - السعودية أ.العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٢٦/٣٥٣٥

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٣٥٣٥
ردمك: ٢-٤٩-٧٣٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى : ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

فروع دار القاسم للنشر
جدة ـ هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ ـ فاكس: ٦٣٣٣١٩١
بريدة ـ هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ ـ فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨
الدمام ـ هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ ـ فاكس: ٨٤١٣٠١١
www . dar - alqassem.com
sales @ dar - alqassem . com

كان مساءً مليئاً بالإثارة وشد الانتباه! ولم يدر بخلدي أن تجري الأحداث سريعة ومتتابعة في لحظات . . .

على ضوء القمر الذي تحجبه السحب حيناً وتبتعد عنه حيناً آخر، قال محدثي وقد بلغ به الحديث أشده:

قبل ساعات أتاني على عجل، فجعل يديه بقوة على قائم الباب وأخذ يهزه ويطرقه طرقاً موجعاً.

هرولت نحوه لأتقي صوت الازعاج المتكرر والزلزال القادم من يدٍ غليظة؛ فإذا بالطارق يلقي بكلمات نحوي: تجهز سوف يحل عليك ضيف بعد دقائق!

وكان وجهه يطفح بالبشر والسرور فأجبته بالتحية لمارأيت على وجهه من ابتسامة كنت أظنها جاءت لتزيل حرارة الطرق والوعد غير المسبق!

اقترب نحوي حتى سمعت أنفاسه المتلاحقة وشممت رائحة جسده المتعب. . .

أسرَّ في أذني: سوف يزورك قائد من القواد وعلم من الأعلام!

ابتسمت وبلغ التعجب مني حتى وجعلت يدي على ظهره!

قلت متعجباً وبصوت ظهرت عليه نبرة لا مبالية: ومن القائد الفذ الذي يتواضع لزيارة رجل مسكين مثلي. . لست بذاك الرجل الذي

يُزار فأنا أشعث أغبر!

أردف وقد ارتفع همسه وتلعثمت كلماته وهي تتسابق في الخروج: إنه عظيم من العظماء ورجل تتمنىٰ رؤيته!

دفعت بقدمي اليسرىٰ إلىٰ الداخل وأنا أرقب الطريق أمام منزلي وقلبي يخفق لعليّ أرىٰ طلعة الضيف. . . وأخذتني الهواجس والخواطر كل مأخذ. . .

لعله مـدير إدارتي فـقـد بدأ يلحظني بمودة خاصة منذ أسبوع، مما دعا الأصحاب والزملاء إلىٰ تندرهم: أنه يسأل عن ابنتك وربما أنه يرغب في الزواج بها. . وعندها تصبح ذا سلطة في إدارتنا. . فانهالت الطلبات إليّ من الزملاء؛

منهم من يريد ترقية ويُقسم أن له سنوات وهو مستحق لها لجده ونشاطه وحرصه وتفانيه، وآخر يريد عملاً إضافياً لتحسين وضعه المادي فلديه أسرة كبيرة وأبوان يعولهما، وثالث بحرارة يطلب توظيف ابنه الذي بدأ الشيب يعلو مفرقة، ولم يجد بَعدُ عملاً ثابتاً يدر عليه مبلغاً يعينه على الزواج وتكوين أسرة..

بدر إلى ذهني كلمة قائد.. لعله يقصد ذلك القائد الكشفي الذي تعرفت عليه في الحج قبل سنوات فقد كان لطيفاً ودوداً!

طردت الأفكار بعيداً..؟ وحدثتني نفسي وتموجات في قلبي تعتصره بين الحين والآخر ربما الزائر فلان، أو فلان.. وعندما رأى تعجبي

وذهولي رفع يده وقال وكأنه يلقي حملاً ثقيلاً يريدني أن أتهيأ لسماعه: سوف يزورك النبي ﷺ! محمد بن عبدالله سوف يزورك بعد لحظات ويدخل بيتك ويجلس معك ويحدثك!

طويت القرون والسنون الطويلة فإذا بنبي الأمة قد مات منذ ألف وأربعمائه سنة أو تزيد وكيف يزورني... و...؟! وبدرت مني إبتسامة صفراء أردفت بعدها وهو يتأمل في تعابير وجهي وارتعاش أطراف يدي: لعلك من صوفية الدجل والخرافة ممن يدّعون حضور النبي ﷺ مجالسهم!!

لمس صاحبي ما وقعت فيه من حيرة وعدم إكتراث بالقول فأدار ظهره، وهو يجعلني أمام

الأمر الواقع قائلاً: بقي دقائق ويدخل بيتك.. هيا أسرع سوف يطرق بابك بعد دقائق وربما لحظات!

لم أعد أسمع إلا وقع نعاله مغادراً باب منزلي نحو الشارع الكبير.. سابق في مشيته خفقان قلبي في نبضاته.. !أتبعته النظرات حتىٰ توارىٰ خلف الحجاب.

أغلقت الباب فماذا أرىٰ!! أخذت الأمر بجد فلا مجال للهزل والدعابة، ياللهول ماذا سيرىٰ نبي هذه الأمة في بيتي.. هرولت إلىٰ المجلس فإذا بجدرانه قد حوت صوراً وتماثيلُ.. أزلت الصور التي علىٰ الجدران بعضها منذ سنين.. حبيبة إلىٰ قلبي جعلتها للذكرىٰ وفي الجانب

الآخر لوحة طالما تمتعت برؤيتها . . منظر طبيعي فيه خيول وجمال وعندما أبعدت عاطفتي الجياشة نحو الصور أزحتها من مكانها والصوت في داخلي يدفعني . . . حرام لا تعلقها وسمعت صوتاً يتردد في داخلي . . لعن الله المصورين!

أسرعت على عجل وحملت التلفاز من المجلس وبحثت له عن مكان منزو لأواريه، وطفت به حتى استقر في زواية من زوايا المطبخ .

التفت يمنة ويسرة! تنفست الصعداء فقد بدا لي أن كل شيء عاد مكانه ؛ فإذا بي أهرول إلى السطح لأزيل الدش الذي يعلو منزلي . . . وجدت صعوبة الأمر ويدي ترتجف وعيني ترقب وأذني تستمع عندها قررت قراراً

عملياً..!!

أسرعت وأغلقت باب سطح المنزل بقوة واحكام فلا وقت لإزالة هذا الجهاز (الأسود) الكبير!!

بدأت أجمع شعث قلبي وشتات فكري! فإذا الأمر عظيم والهيبة كبيرة في نفسي... تفقدت... فإذا بي مُسبل الثوب ولحيتي قد مر عليها الموس صباح هذا اليوم!! يا للهول والمصيبة!! إسبال الثياب كبيرة من الكبائر، وكم مرة أسمع حديث النهي عن الإسبال وأؤجل! أما اللحية فقد سمعت خطيب الجمعة يذكر أحاديث عدة في تحريم حلقها أو أخذ شيء منها! كيف أصنع؟ وماذا أفعل؟!

تذكرت . . لدي ثوب اشتريته وكان فيه قصر كما أظن فتركته ردحاً من الزمن . . لقد جاء وقته . . سوف أبحث عنه . .

في وسط الحيرة لفت نظري كثرة المجلات والصور على الأرض فأسرعت وحملتها مِن دون ترتيب وأودعتــــهـــا في دولاب المنزل وأغلقته، وكان بجوارها مجموعة من الأشرطة الغنائية فحملتها وأغلقت عليها المكان، وبدا ليَّ أن الأمر أصبح جيداً ولو بنسبة مرضية مقارنة بما كان عليه الأمر قبل قليل!

فرحت فرحاً شديداً عندما وقعت عيني على بقايا مسواك اشتريته منذ شهور عندما ذهبت إلى مكة معتمراً . . . جعلته في جيبي الأعلى

وأبرزته!

وأخذت مصحفاً يقبع وسط المكتبة منذ شهر رمضان الماضي فأزلت ما عليه من غبار وقربته إلىٰ طاولة الجلوس وفتحته وأغلقته حتىٰ يبدو أنه حديث عهد بالقراءة

يا ترىٰ مـــاذا لو طلب مني النبي ﷺ زيارة الجيران وهم الذين افتقدوني في المسجد إلا من صلوات قليلة! بل كيف لو سألني من إمـــام مسجدكم وقال لي: ادعه لنره فهو حامل القرآن!

آه.. لو سألني كم أحفظ من كتاب الله - عز وجل - فأين الجواب؟!

بل ماذا لو سأل عن والديَّ ومتىٰ رأيتهما وما نصيبي من البرّ بهما أحياءً وأمواتاً!

أسئلة كثيرة تراءت حتىٰ وقعت يدي علىٰ جيبي فإذا ببعض البطاقات الائتمانية . . خبأتها فانا لا أعلم حلال أهي أم حرام آه . . لو سألني عن مطعمي وملبسي !!

وفي وسط الحيرة وضيق الوقت وتوقع دخول الزائر في لحظات جاء صوت الموسيقىٰ من جوالي! أغلقته بسرعة فلا أريد أن أتصل بأحد ولا أريد أحداً يتصل بي!!

وعندما حانت مني التفاته إلىٰ المطبخ وبجواره ذلك المخزن العامر بالأكياس قررت إغلاق الباب حتىٰ لا يراه من يطوي الليالي الطويلة جائعاً . . ولا يوقد في بيته النار الشهر والشهرين، والثلاثة، وهو نبي هذه الأمة!!

قررت الاستعداد والتهيؤ لمقابلة ضيف كريم، خير من وطأ الثرىٰ، وذهبت لأغسل يدي من آثار التراب والسواد؛ فإذا بالماء يندفع بقوة فأغلقته وتذكرت الاسراف والنهي عنه! أدرت عيني هرباً فإذا بها تقع علىٰ حوض الاستحمام أمامي! لو سألني ما هذا؟ أين الجواب؟! كم من الماء أستهلك؟ وهو ﷺ الذي كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع.

في لحظات دُفع الباب بقوة فأصابني الخوف والرعب، يا رب! لم أعد أتحمل المفاجآت.. حتىٰ سرىٰ إلىٰ مسمعي صوت ابنتي الصغيرة وهي تناديني!! فرحت.. لكن لما وقعت عيني علىٰ صغيرتي فإذا بالطامة!!

لباس عار على صغيرتي، وزوجتي بكامل زينتها، فتنةٌ وأي فتنة! وتذكرت حديثاً سمعته معناه أنها كاسية وهي عارية، فقلت: وقع الفأس في الرأس..!!

ناديت زوجتي لترتب أمرها ولشدة هول الأمر لم أذكر لها من سيأتي إلينا.. الأمر أكبر من ذلك..

أسرعت إلى الحديقة لألقي نظرة على طريق دخوله ﷺ منزلي فرأيت الخضرة، جملت المكان بأنواع الزهور والورود، ووقع نظري على سيارتي الفارهة التي تقطع الفيافي والقفار.. ولربما لو حدثته عن سرعتها وأنها تقطع المسافة بين الرياض ومكة في تسع ساعات لربما ذكرني

بصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة وهمة المؤمن، لا تتردد في طلب العمرة والصلاة في المسجد الحرام كل أسبوع على أقل تقدير!!

عندها قررت ترك الاسترخاء وفتحت عيني بعد هذه الرحلة الطويلة فإذا بي على سريري وصوت الآذان يرتفع.. كانت لحظات خيال جميلة.. ومحاسبة سريعة! ماذا لو زارني المصطفى ﷺ ورأى حالي يا ترى ماذا سيكون الأمر؟!

قلت لمحدثي وقد شدني شوقاً لمراجعة حالي:.. بعض عباد الله لو دخل عليهم المصطفى ﷺ في بيوتهم وأسرهم لأحبهم وأكرمهم ودعا لهم!!

* * *